

شواهد الشعر الإسلامي في كتاب سيبويه

أ.د. ابتسام مرهون الصفار (*)

المقدمة:

اختلف علماء اللغة في السماح بالاستشهاد بالشعر الإسلامي والأموي في قضايا اللغة والنحو، ووضعوا ضوابط لتمثيل أشعارهم، منها: الجنس والزمان والضابط الإخلاقي والبيئي، ورفض كثير منهم التمثيل بأشعار من أسموهم بالمولدين. أما سيبويه فقد كان أعلم الناس بالنحو بعد الخليل بن أحمد الفراهيدي، وعدوا كتابه قرآن النحو. ونجد في كتابه كثرة الشواهد الشعرية الإسلامية التي تمثل بها، مما يدل على أنه اتخذ لنفسه منهجاً في التمثيل بالأشعار خالف فيه بعض علماء اللغة. وقد استشهد سيبويه بأشعار المخضرمين والأمويين، وكانت أشعار الأمويين أكثر من أشعار المخضرمين، فتمثل بشعر ذي الرمة والكُميت والطرمّاح. وجريير والأخطل والرّاعي النّميري. واتخذ البحث من أشعار الفرزدق نموذجاً للشعراء المولدين الذين تمثل بهم سيبويه في كتابه دون أن يجد حرجاً أو مانعاً من إيرادهم لأشعاره.

الكلمات المفتاحية: الشعر الإسلامي، شعر المولدين، الفرزدق.

لا بد أن نقف عند مصطلحين يقتضيهما البحث قبل ولوجنا الموضوع وهما:

(*) باحثة من العراق.

- مصطلح الشعر الإسلامي .

ونقصد به الشعر الذي قيل بعد الإسلام، وبعضهم جعله ممتدًا حتى نهاية العصر الأموي، وهو تقسيم اعتاد عليه مؤرخو الأدب تيسيرًا للبحث، ولما تَجَمَّعَ عبرَ العصور التاريخية من سمات متقاربة ابتداءً من بروكلمان فيما ألفه «تاريخ الأدب العربي»، وشوقي ضيف في تقسيماته لعصور الأدب العربي وما بينهما وبعدهما من مؤلفات كتبت في تاريخ الأدب العربي.

أما الشواهد الشعرية التي تَمَثَّلُ بها سيبويه فقد تجاوزت العصر الأموي إلى بداية العصر العباسي، فيكون الأدب الإسلامي هنا مقترنًا بعصر الاستشهاد الممتد إلى منتصف القرن الثاني الهجري.

مصطلح المولدين والمحدثين:

ومصطلح المولدين مرتبط بالاحتجاج الذي نحن بصده.

وَرَدَ في لسان العرب تعريفٌ للمولَّدِ بأنه إذا كان عربيًا غير محض^(١) قال ابن قتيبة:

(لم يَقْصُرَ اللهُ العِلْمَ والشَّعْرَ والبلاغَةَ على زمنٍ دونَ زمنٍ، ولا حَصَّ به قومًا دونَ قوم، بل جعلَ ذلكَ مشتركًا مَقْسومًا بين عبادِهِ في كلِّ دهر، وجعلَ كلَّ قديمٍ مَحْدَثًا في عصرِهِ، وكلَّ شرفٍ قديمًا في أولِهِ، وكان جريِرٌ والفرزدقُ والأخطلُ يُعَدُّونَ مُحَدَّثِينَ)^(٢).

(١) لسان العرب (ولد).

(٢) الشعر والشعراء ١/٣٦.

وَقَرَّرَ ابنُ رَشِيْقٍ أَنَّ كلَّ قديمٍ مُحَدَّثٌ في زمانِهِ،^(٣) وبذا يَخْتَلِطُ مصطلحُ المولَّدِ مع مصطلح آخر وهو المَحْدَثُ، وهو المصطلحُ نَفْسَهُ الذي أطلقَهُ أبو عمرو بن العلاء^(٤) على الشعراءِ المَحْدَثِينَ الذين رَفَضَ الاحتجاجَ بأشعارِهِم، وسَمَّاهُم المَحْدَثِينَ حينَ قال: (لقد كثرَ هذا المَحْدَثُ وحسنَ حتى هممتُ بروايته)^(٥).

وَأَنَّ الأَصْمَعِيَّ جَلَسَ إلى أَبِي عَمْرٍو بنِ العلاءِ عَشْرَ حَجَجٍ فما سمعَهُ يَحْتَجُّ ببيتِ إسلاميٍّ^(٦)، وعن ابن الأعرابيِّ وقد سُئِلَ عن المَحْدَثِينَ فقال: (إنَّما أشعارُ هؤلاءِ المَحْدَثِينَ مثلُ أَبِي نُؤَاسٍ وغيرِهِ مثلُ الرِّيحانِ يُشَمُّ يَوْمًا وَيَذوي فَيُرمى بِهِ، وَأشعارُ القَدَماءِ مثلُ المِسكِ والعَنْبَرِ كلِّما حَرَكْتَهُ ازدادَ طيبًا)^(٧).

وَسُئِلَ الأَصْمَعِيُّ عن المولَّدِينَ فقال: ما كان من حَسَنِ فقد سُبِقُوا إليه، وما كان من قَبِيحٍ فهو من عِنْدِهِم. ووصفَ الأَصْمَعِيُّ أيضًا مَروانَ بنَ أَبِي حَفْصَةَ بأنه كان مَوْلِدًا ولم يَكُنْ له عِلْمٌ بالنَّحو^(٨). وعدَّ ابنُ رَشِيْقٍ بِشارًا من المولَّدِينَ^(٩).

ولكننا نجدُ ابنَ الأثيرِ يُسمِّي الشعراءَ الأمويين الذين وُلِدُوا بَعْدَ المُخَضَّرِمينَ طبقةَ الإسلاميين وهم الذين وُلِدُوا في الإسلام، ولم يسمهم بالمولَّدِينَ

(٣) العمدة ١/١٩.

(٤) أبو عمرو بن العلاء العالم المشهور بالقراءات واللغة: الاشتقاق ٦٢١، نزهة الألباء ٣٠٣.

(٥) الشعر والشعراء ٢/١٨٥.

(٦) العمدة لابن رَشِيْقٍ ١/١٩-١٩، خزانة الأدب ١/٦.

(٧) الموشح ٦٨٢.

(٨) المصدر نفسه.

(٩) العمدة ٢/٥٨.

ليس بفصيح، ولا ثقة، شغل نفسه بالشرب، فقد أضاف إلى الضابط الأخلاقي ضابط الفصاحة^(١٥).

الضابط البيئي أو المكاني:

ذكر أبو عمرو بن العلاء عدي بن زيد وهو جاهلي، وقال إنَّ العَرَبَ لا تروى شعره لأنَّ ألفاظه ليست بنجدية^(١٦). ولا يحتج بشعر ذي الرمة لأنه أكل الملح والبقل في حوانيت البقالين، يعنون أنه عاش في الحاضرة وخالط العامة^(١٧).

وقالوا عن الكميت إنه ليس بحجة لأنه من أهل الكوفة، فتعلم الغريب وروى الشعر، وكان معلماً فلا يكون مثل أهل البدو^(١٨).

ضابط النسب:

الكميت ليس بحجة لأنه ليس بدويًا، وكذلك الطرماح وأنَّ الكميت جرمقاني من جراميق الشام، والجرامقة قوم من العجم، سكنوا الموصل^(١٩).

ضابط الفصاحة:

وهو نفسه ما قيل في رفض الاحتجاج بشعر ذي الرمة، وأنَّ الكميت كان يأخذ لغته أخذًا من أفواه الأعراب من سكان الأمصار ويضعها في شعره^(٢٠).

طبقات الشعراء الذين يستشهد بأشعارهم:

الطبقة الأولى: الشعراء الجاهليون، وهم قبل

(١٥) تاج العروس (ولغ) الأغاني ٧٩/٥.

(١٦) الشعر والشعراء ٣٢/١.

(١٧) الخصائص ٣/٩٥٢، المزهرة ٢/٦٧٣.

(١٨) فحولة الشعراء ٦٤.

(١٩) الأغاني، طبعة دار الفكر ٢/٠٩، الأمالي للقالبي

٦٩/١.

(٢٠) المزهرة ٢/٩٣٣.

إنما المؤلِّدون عندهم شعراء الدولة العباسية، وأنهم سُموا بالمؤلِّدين لأنهم كانوا عرباً غير محض، فكان شعرهم غير شعر العرب العاربة، ولا يستشهد بأشعارهم في اللغة وخالطوا العجم فصاروا مؤلِّدين بهذا الاعتبار مثل بشار بن برد وأبي نؤاس ومسلم بن الوليد^(١٠)، وهنا يجعل ابن الأثير الجنس معياراً للشعر الذي لا يستشهد به. وقرر السيوطي قلة ثقتهم - يعني اللغويين والنحاة - بما يأتي به المؤلِّدون^(١١).

إنَّ بيانَ هذا المصطلح يضع أماننا خلفاً كبيراً في تحديد زمن المؤلِّدين ومكانهم، وسنجدُ سيبويه يُخالقهم في هذا من عرض شواهد.

ضوابط شعر المؤلِّدين

الضابط الزمني:

وهو كون الشعراء ليسوا من عصر الاستشهاد، فقد عدَّ جريراً والفرزدق مؤلِّدين وأنهما محدثان^(١٢).

الضابط الأخلاقي:

أبو عمرو بن العلاء يقول: لولا أنَّ أبا نؤاس أفسد شعره بهذه الأقدار - يعني الخمر - لاحتججنا به؛ لأنَّه كان مُحكم القول لا يُخطئ^(١٣).

ويقول يونس^(١٤): عبَّيدُ الله بنُ قيسِ الرُّقيَّاتِ

(١٠) يُنظر: جوهر الكنز ٥٤٤، وخزانة الأدب ١/٤٥ معجم

مصطلحات النقد الأدبي ٢/٤٨٣، يتيمة الدهر ١/٦١،

ثمار القلوب ٤٢٢.

(١١) الاقتراح ٢١.

(١٢) العمدة ١/٠٩.

(١٣) خزانة الأدب ١/٨٤٣.

(١٤) هو يونس بن حبيب الضبي، أديب نحوي توفي نحو

٢٨١هـ: نزهة الألباء ٨٤، إنباه الرواة ٤/٨٦.

الإسلام كامرئ القيس والأعشى.

الثانية: المُخْزَمُونَ وهم الذين أدركوا الجاهلية والإسلام كليد وحسان.

الثالثة: المتقدّمون ويُقال لهم الإسلاميون وهم الذين كانوا في صدر الإسلام.

الرابعة: المؤلّدون ويُقال لهم المُحدثون وهم من بعدهم إلى زماننا كبشار بن برد وأبي نؤاس.

فالتبقتان الأوليان يُستشهدُ بشعرهما إجمالاً. وأما الثالثة فالصحيحُ صحّةُ الاستشهادِ بشعرها.

فأما الرابعة فالصحيحُ أنّه لا يُستشهدُ بكلامها، وقيل يُستشهدُ بكلامٍ من يوثقُ به^(٢١).

أهمية كتاب سيبويه :

لقد نال كتاب سيبويه شهرة كبيرة، فيكفي أن يقال (الكتاب) يُعرف أنّ المقصود به كتاب سيبويه.

كان يقال في البصرة: قرأ فلان الكتاب، فيعلم أنّه كتاب سيبويه^(٢٢).

وقال فيه المُبرّد: لم يُعملُ كتابٌ في علم من العلوم مثل كتاب سيبويه ؛ وذلك أن الكتب المصنّفة في العلوم مضطّرةٌ إلى غيرها، وكتاب سيبويه لا يُحتاج في فهمه إلى غيره^(٢٣) وأن جميع ما كتَبَ الناسُ عيالٌ عليه^(٢٤).

وكان المازني يقول: من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً

(٢١) خزنة الأدب ٦/١.

(٢٢) أخبار النحويين ٣٩، نزهة الألباء ٥٥.

(٢٣) الكتاب ٥/١.

(٢٤) وفيات الأعيان ٣/٣٢١.

في النحو بعد كتاب سيبويه فليستح^(٢٥).

وقد وُصِفَ سيبويه بأنّه أعلمُ الناسِ بالنحو بعد الخليل، وقد سمّى الناسُ كتابه قرآنَ النحو^(٢٦)، وأنه كتاب لم يسبقه إلى مثله أحد قبله وما قبله^(٢٧). وأراد الجاحظُ أن يُهديَ شيئاً لمحمد بن عبد الملك الزيّات، فقال له: أردتُ أن أهدي لك شيئاً، فإذا كل شيء عندك، فلم أرَ أشرفَ من هذا الكتابِ، ففرحَ به، وقال: والله ما أُهديتُ إليّ شيئاً أحبّ إليّ منه^(٢٨).

وذكر أن الكتاب واحدٌ من أهم الكتب التي انفردت بخصوصية لا مثيل لها؛ فهو واحدٌ من ثلاثة كتب: المَجسُطِي لبطليموس في علم الهيئة، وكتاب أرسطو في علم المنطق، وكتاب سيبويه البصريّ النحويّ، فإنّ كلّ واحد من هذه لم يشدّ عنه من أصول فنّه شيءٌ^(٢٩).

عصر الاستشهاد عند سيبويه :

أحصى الجرميُّ شواهدَ سيبويه فوجدَها ألفاً وخمسين بيتاً، أمّا الألفُ فعرفتُ أسماءَ قائلها^(٣٠) وأمّا الخمسونَ فلم أعرف قائلها، من هنا وجدت دراسات كثيرة عن الكتاب وشروحه. وإذا أردنا معرفة زمن الاستشهاد لابد أن نتذكر أنهم قالوا:

(٢٥) أخبار النحويين ٣٩، نزهة الألباء ٦٥.

(٢٦) مراتب النحويين ٥٦.

(٢٧) أخبار النحويين البصريين ٧٣، نزهة الألباء ٥٥.

(٢٨) نزهة الألباء ٥٥.

(٢٩) سيبويه حياته وكتابه ٩١-٢٠٢.

(٣٠) الكتاب ٩/١، طبقات الزبيدي ٧٧، خزنة الأدب

٨٧١/١.

ختم الشعر بإبراهيم بن هرمة (١٥٠هـ) (٣١) وهو آخر الحجج (٣٢).

ويرى البغدادي أن الصحيح الاستشهاد بكلام الطبقة الثالثة، وإن كان أبو عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي إسحاق والحسن البصري وعبد الله بن شبرمة يلحنون الفرزدق والكميت وذا الرمة وأضرابهم، وكانوا يعدونهم من المولدين؛ لأنهم كانوا في عصرهم، والمعاصرة حجاب (٣٣).

وقد علل قتيبة أن علل سبب عدم الاستشهاد بشعر المولدين، والغريب أنه بدأ بشعر عدي بن زيد العبادي وهو شاعر جاهلي قائلًا: ولكن العلماء لم يرتضوا أشعاره في الاستشهاد؛ لأنه كان يسكن الحيرة، ويدخل الأرياف فتقل لسانه، وعلماؤنا لا يروون أشعاره، وأن أبا عمرو بن العلاء يقول: العرب لا تروي شعره؛ لأن ألفاظه ليست نجدية، ويضيف أيضًا: وعلماؤنا لا يرون شعره حجة (٣٤).

وأما عدم الاستشهاد بشعر الكميت، فلأنهم قالوا عنه إنه كان معلّم صبيان، ونقلوا أقوالا كثيرة عن الأصمعي توحى بتعصبه مثل قوله: الكميت ليس بحجة؛ لأنه مولد، وكذلك الطرماح لأنه من أهل الكوفة، وتعلم الغريب، وروى الشعر فلا يكون مثل أهل البدو، وكان معلّمًا (٣٥).

فمن هم المولدون؟

دعت المنافسة بين الشعراء إلى كَيْل التَّهْمِ على بعضهم لِيَتَهَمُوا بِاللَّحْنِ، فَقَدْ ادَّعَى الْعَجَّاجُ أَنَّ الْكُمَيْتَ وَالطَّرْمَاحَ كَانَا يَسْأَلَانِهِ عَنِ الْغَرِيبِ فِي خَبْرِهِمَا ثُمَّ يَرَاهُ فِي أَشْعَارِهِمَا، وَقَدْ وَضَعَاهُ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهِ فَلَمَّا سُئِلَ عَنِ السَّبَبِ قَالَ: لِأَنَّهَا قَرْوِيَانِ يَصِفَانِ مَا لَمْ يَرِيَا، فَيُضَعَانِهِ فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهِ، وَأَنَا بَدَوِيٌّ أَصْفُ مَا رَأَيْتُ، فَأَضَعُهُ فِي مَوَاضِعِهِ (٣٦)، كما أن كثيرًا من الأقوال التي قيلت في تضعيفهما يُمكن أن تُعزى إلى أسباب شخصية أو عقائدية. وتبدو أهمية استشهاد سيبويه بالأشعار من عنايته بصحتها وتوثيقها حتى قال البغدادي: أبيات سيبويه أصحّ الشواهد اعتمد عليها خَلْفٌ بَعْدَ سَلْفٍ (٣٧).

ومن عناية سيبويه بصحة الشواهد أنه يكثر ذكْرَ مَنْ رَوَى لَهُ الشَّعْرَ الْإِسْلَامِيَّ (٣٨)، ولأهمية شواهد الكتاب انبرى عدد من القدماء وكتبوا مؤلفات شرحوا فيها شواهدهم، أولهم فيما ذكر: المبرد، وآخرهم في القرن السابع الهجري (٣٩)، والقائمة التي بين أيدينا تؤكد وجودها في القرن التاسع الهجري ثم ما بعدها من المتأخرين وأهمها:

(٣٦) الشعر والشعراء ٦٨٥/٢ الأغاني ٣٦/٢، الموشح ٨٤٢.

(٣٧) خزانة الأدب ٨/١.

(٣٨) الكتاب ١/١٥٤، ٩٢٤، ٢٥٣، ٩٨٣، ٢٦٤.

(٣٩) ينظر الشاهد الشعري ٢٤، وهو الأساس الذي اعتمدنا عليه في هذه القائمة، وكتاب المدخل إلى كتاب سيبويه وشروحه ٦٠.

(٣١) فوات الوفيات ١/٥٣.

(٣٢) الاقتراح ٧٢.

(٣٣) خزانة الأدب ٦/١.

(٣٤) الشعر والشعراء ٢/١٨٥.

(٣٥) الموشح ٨٤٢.

- ١- شرح شواهد الكتاب لمحمد بن يزيد، أبو العباس المبرد (٢٥٨هـ) وباسم شرح أبيات سيبويه^(٤٠).
- ٢- شرح أبيات سيبويه للزجاج أبو إسحاق إبراهيم (٣١٠هـ).
- ٣- شواهد سيبويه وتفسيرها لمحمد بن علي أبي بكر المراغي^(٤١) وسُمِّي أيضًا شرح شواهد الكتاب.
- ٤- شرح أبيات سيبويه أو شرح شواهد سيبويه لأحمد بن محمد المرادي المشهور بابن النحاس (٣٢٨هـ)^(٤٢).
- ٥- شرح شواهد سيبويه لمبرمان محمد بن علي العسكري (٣٤٥هـ)^(٤٣).
- ٦- شرح أبيات سيبويه لأبي سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي (٣٦٨هـ).
- ٧- شرح أبيات سيبويه أو شرح شواهد سيبويه ليوسف بن أبي سعيد السيرافي (٣٨٥هـ) سُمِّي كتابه شرح أبيات سيبويه وشرح على الأبيات التي ورد ذكرها^(٤٤).
- ٨- تفسير عيون كتاب سيبويه أو تفسير أبيات
-
- (٤٠) إنباه الرواة ١/٥٦١، الفهرست ٩١، بغية الوعاة ٢١٤/١.
- (٤١) بغية الوعاة ١/١٩٦، الفهرست ١٢٧ باسم شواهد سيبويه وتفسيرها.
- (٤٢) حققه د. زهير غازي زاهد مطبعة الغري، النجف ١٩٧٤.
- (٤٣) بغية الوعاة ١/١٧٧، الشاهد وأصول النحو ٢٣ كتاب سيبويه وشروحه ١٥٨.
- (٤٤) الكتاب مطبوع بتحقيق محمد علي الرياح. مكتبة الكليات الأزهرية مصر ١٣٩٤هـ/١٩٧٤.
- سيبويه لهارون بن موسى القرطبي (٤٠١هـ) ويرى البكاء أنه في شرح كتاب سيبويه وليس في شرح شواهد^(٤٥).
- ٩- شرح شواهد سيبويه لمحمد بن عبد الله الخطيب الإسكافي (٤٢١هـ).
- ١٠- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب، وهو شرح على أبيات الشواهد في كتاب سيبويه لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأندلسي المعروف بالأعلم الشنتمري (٤٧٦هـ)^(٤٦)، وقد عقب عليه ابن هشام اللخمي (٥٦٠هـ) كتابًا أسماه إصلاح ما وقع في أبيات سيبويه وفي شرحها للأعلم الشنتمري من الوهم والخلل^(٤٧).
- ١١- شرح أبيات سيبويه للزمخشري (٥٣٨هـ) وفيه قال أبياتًا من الشعر حين أهدى الكتاب مع كتابه الآخر الأنموذج^(٤٨).
- ١٢- لباب الألباب في شرح أبيات الكتاب لسليمان بن بنين الدقيقي النحوي (٦١٤هـ)^(٤٩).
- ١٣- شرح أبيات الكتاب لعبد الله بن الحسين
-
- (٤٥) المدخل إلى كتاب سيبويه وشروحه ٥٥
- (٤٦) طبع الكتاب بتحقيق زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة ١٤١٥هـ/١٩٩٤ وقال المحقق عن الكتاب إنه أكمل شروح شواهد الكتاب التي وصلت إلينا.
- (٤٧) المدخل إلى كتاب سيبويه وشروحه ٦٢.
- (٤٨) المدخل إلى كتاب سيبويه ٦٠ ونقل الأبيات من مخطوط ديوان شعر الزمخشري، ومقدمة تحقيق الكتاب ٣٧/١
- (٤٩) بغية الوعاة ١/٥٩٧، إيضاح المكنون ٢/٣٩٨، كتاب سيبويه وشروحه ٤٥٢.

العكبري (٦١٦هـ) (٥٠).

١٤- شرح أبيات سيبويه ليحيى بن معطي
الزواوي المغربي (٦٢٨هـ) (٥١).

١٥- شرح أبيات سيبويه لمحمد بن علي بن
إبراهيم المالقي الشلوبين الصغير (٦٦٠هـ) قال
السيوطي عنه إنه شرح أبيات سيبويه شرحاً
مفيداً (٥٢).

١٦- شرح أبيات سيبويه لربيع بن محمد بن
منصور الكوفي (٦٨٢هـ) (٥٣).

وأضاف البغدادي شرحين آخرين هما لابن
خلف، والثاني لأبي محمد الأعرابي وسماه فرحة
الأديب (٥٤).

١٧- العيني محمود بن أحمد بن موسى، قاضي
القضاة توفي سنة (٨٥٥هـ) له كتاب شرح
الشواهد الكبير والصغير ورجحت الدكتورة
خديجة أن يكون اسمه شرح شواهد سيبويه (٥٥).

هذه شروح أبيات الكتاب، وشرح الكتاب نفسه
أكثر بكثير، ولابد أنهم في شروحهم للكتاب شرحوا
الأبيات وعلقوا عليها، وما يهمنا هنا شواهد الشعر

(٥٠) إنباه الرواة ١١٦/٢، بغية الوعاة ٣٨، المدخل الى
كتاب سيبويه وشروحه ٦٧.

(٥١) بغية الوعاة ٤٤٣/٢ وهو منظومة.

(٥٢) بغية الوعاة ١٨٧/١.

(٥٣) كتاب سيبويه وشروحه ٢٥٦، المدخل إلى كتاب
سيبويه ٧٢ ونشر كتاب شرح أبيات سيبويه والمفصل
بتحقيق عزيزة بنت سليمان عبد الذبياني.

(٥٤) الشاهد وأصول النحو ٢٤، كتاب سيبويه وشروحه
٢٤٢.

(٥٥) سيبويه وشروحه ٢٩٢.

الإسلامي الواردة في الكتاب، لنعرف أي الشعراء
الإسلاميين الذين أكثر سيبويه التمثل بأشعارهم،
وأيهم ندر التمثل بهم، وكيف أنه خالف آراء
اللغويين بشأن كثير منهم.

وإذا كان القدماء قد عدوا شعراء العصر الأموي
مؤلدين ولا يجوز الاحتجاج بأشعارهم، فإن
القائمة تدلنا على خلاف ذلك فالقائمة تدلنا على
تمثل سيبويه بهم بتفاوت شواهد الاستشهاد،
ونستطيع أن نرتبهم على النحو الآتي:

الشعراء الإسلاميون / صدر الإسلام

أبو طالب (السنة الثالثة قبل الهجرة) ١.

صرمة الانصاري (صحابي) ١.

العباس بن مرداس (وفاته ١٨هـ) ٥.

خفاف بن نذبة (٢٠هـ) ٢.

هند بنت عتبة (١٣هـ) ٢.

حميد بن ثور (٣٠هـ تقريباً) ٢.

حسان بن ثابت (٤٠ أو ٥٠هـ) ١٢.

عمرو بن معد يكرب (١١٣هـ) ٧.

المخبل السعدي (١٢هـ) ١.

صفية بنت عبد المطلب (٢٠هـ) ٣.

أنس بن مودة (٣٧هـ) ١.

كعب بن مالك الأنصاري (٥٠هـ-٥٤هـ) ٣.

أبو كبير الهذلي (١٠هـ) ٢.

ساعدة بن جوية (١٥هـ تقريباً) ٢.

الحارث بن هشام (١٨هـ) ١.

العباس بن مرداس (١٨هـ) ٥.

الشمخ بن ضرار (٢٤هـ) ٩.

كعب بن زهير (ت ٢٤هـ) ٣.

الخطيب (٣٠هـ) ٦.

- عروة بن حزام (٣٠هـ) ١.
 أبو ذؤيب الهذلي (٢٦هـ) ٦.
 ليث بن ربيعة العامري (٤١هـ) ١٨.
 الزبيرقان بن بدر (٤٥هـ) ١.
أما الشعراء الإسلاميون المولودون في العصر الأموي فهم:

- زيادة بن زيد العذري (٥٤هـ) ١.
 الأعور الشنبي (٥٠هـ) ١.
 هذبة بن الخشم (نحو ٥٠هـ) ٥.
 النعمان بن بشير (٦٥هـ) ١.
 النابغة الجعدي (٦٥هـ) ٢٣.
 عبد الرحمن بن حسان (٥١هـ) ٥.
 قيس بن ذريح (٥٥هـ) ٢.
 أبو زبيد الطائي (٦٢هـ) ٢.
 عمرو بن الأحمر (٦٥هـ) ٣.
 عبد الله بن الزبير (٧٣هـ) ١.
 أمية بن أبي عائذ (٧٥هـ) ٥.
 ميسون بنت بحدل (٨٠هـ) ١.
 ليلى الأخيلية (٨٠هـ) ٨.
 عبد الرحمن بن أم الحكم (٨٣هـ) ١.
 أعشى همدان (٨٣هـ) ٣.
 عمران بن حطان (٨٤هـ) ٣.
 جميل بثينة (٨٢هـ) ١.
 عبيد الله بن قيس الرقييات (٨٥هـ) ٥.
 حميدة بنت النعمان (٨٥هـ) ١.
 الراعي النميري (٩٠هـ) ١٢.
 مزاحم العقيلي (بعد ٩٠هـ) ٢.
 المغيرة بن حبناء (٩١هـ) ٢.
 الأخطل (٩٢هـ) ١٧.
- عدي بن الرقاع (٩٥هـ) ٢.
 عمر بن أبي ربيعة (٩٣هـ) ٦.
 ابن مقبل (١٠٣هـ) ٣.
 العجير السلوي (١٠٥هـ) ٢.
 الطرماح (١٢٥هـ) ٢.
 عامر بن وائلة (١٠٠هـ أو ١٠٥هـ) ٢.
 جرير (١١٠هـ) ٤٥.
 الفرزدق (١١٠هـ) ٥٣.
 ذو الرمة (١١٧هـ) ٢٩.
 كثير عزة (١٢٥هـ) ٨.
 الكميث بن زيد (١٢٦هـ) ٨.
 كعب بن جعيل (تقريباً ١١٨هـ) ٥.
 الفضل بن عبد الرحمن (١٢٩هـ) ١.
 القطامي (١٣٠هـ) ٥.
 الكميث بن معروف (١٢٦هـ) ٥.
 يزيد بن الطثرية (١٢٦هـ) ٢.
 أبو النجم العجلي (١٣٠هـ) ٤٨.
 نصر بن سيار (١٣١هـ) ٢.
 العجاج (١٤٥هـ) ٣٠.
 إبراهيم بن هرمة (١٧٦هـ) ١.
 أبو عطاء السندي (بعد المائة والثمانين) ١.
 أبو نخيلة (١٤٥هـ) ١٦.
 رؤبة (١٤٥هـ) ٣٩.
 أبان اللاحقي (٢٠٠هـ) ٢.

هذه القائمة تطلعنا على الشعراء الذين تَمَثَّلَ بهم سيبويه، وهي قائمة منوعة حافلة. كانت قائمة الإسلاميين من مخضرمي الجاهلية والإسلام أقصر من قائمة الإسلاميين في العصر الأموي، وتجاوزَ فيها سيبويه -الضابط الأخلاقي بالنسبة للتمثّل

بشواهد من شعر الحطيئة. وكان أكثر الشعراء وروداً في الشواهد الإسلامية لبيد ثم الحطيئة، فحسان بن ثابت فالشمخ فعمرو بن معد كرب وغيرهم.

أما لبيد فشواهدة معظمها من شعره الجاهلي^(٥٦)، ويأتي بعده حسان تمثل سيبويه ببيته المشهور ضمن ما قيل من ضعيف القول، لأنه يُثير لبساً وهو قوله:

كَأَنَّ سَبِيئَةً مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ

يَكُونُ مِنْ جَهَا عَسَلٍ وَمَاءٍ^(٥٧)

وفي باب القلب ذكر بيت حسان:

ظَنَنْتُمْ بَأَنَّ يَخْفَى الَّذِي قَدْ صَنَعْتُمْ

وَفِينَا نَبِيٌّ عِنْدَهُ الْوَحْيُ وَاضِعُهُ^(٥٨)

والشاهد فيه أن واضعه وصف النبي مع إعادة الضمير في (واضعه) على الوحي وهو لا يحتمل القلب.

أما الشعراء الأمويون فلا ضابط يضبط أشعارهم إلا ما يحتاج إليهم من التمثل بأشعارهم، ويكفي أن نذكر تقدم شواهد الفرزدق على شواهد صاحبيه جرير والأخطل، والفرزدق نفسه أكثرهما فحشاً في هجائه، وبذا يسقط عنه الضابط الأخلاقي الذي ذكرناه آنفاً وسنقف عند شواهد بالتفصيل.

وأما ليلي الأخيلية فقد تمثل سيبويه ببيتها:

فَلَمَّا أَحْسَا رَزْمًا وَتَضَوَعَا

وَأَبْتَهُمَا مِنْ ذَلِكَ الْمَتَاوَبِ

تَدَلَّتْ إِلَى حُصِّ الرُّؤْسِ كَأَنَّهَا

كِرَاتٍ غَلَامٍ مِنْ كِسَاءٍ مُؤْرَبٍ

تريد أن الفرخين تحركا لما سمعا صوت جناحيهما، والحص التي لا ريش عليها، وأن المتأوب مصدر تأوبت وليس بمصدر آبت، ولكنها أتت بمصدر في معنى المصدر من الفعل المتقدم^(٥٩). والشاهد فيه كما يقول عبد السلام هارون: مؤفعل من الأرنب، فمؤرنب بمنزلة مرنباني لاهمزة فيه، فهمزة مؤرنب زائدة^(٦٠).

وتمثل سيبويه بشعر شعراء متأخرين كأبي حية النميري المتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائة^(٦١)، ولم يلتزم سيبويه بضوابط الاستشهاد التي قال بها غيره، وخط لنفسه مساراً خاصاً ترسمه غيره بعده.

أمّا ضابط الفصاحة الذي انتزعه من ذي الرمة والكميت والطرمح وأنهم فاقدو الفصاحة، فلم يلتفت إليه سيبويه، وإنما أورد شواهدهم وفق الحاجة إليها.

وإذا مضينا في متابعة الشعراء الذين تمثل سيبويه بأشعارهم سنجد كثيراً منهم من المتأخرين عن جرير والفرزدق (١١٠هـ) اللذين عدّا من المحدثين ولم يجوز بعض العلماء الاحتجاج بشعريهما.

تمثل سيبويه بشعر ذي الرمة ١١٧هـ، وكثير عزة ١٢٥هـ، ويزيد بن الطثرية ١٢٦هـ، الكميت

(٥٩) شرح أبيات سيبويه للسيرا في ٢/٣٧٢.

(٦٠) الكتاب ٤/٢٨٠.

(٦١) الكتاب ٣/١٥٦.

(٥٦) الكتاب ١/٣٧٢، ٦٨، ١٩٠، ومواضع أخرى.

(٥٧) الكتاب ١/٤٩.

(٥٨) الكتاب ٢/٥٣.

١٢٦هـ، مع كل ما كِيلَ من تهم للكُميت تخص عروبتة ولغته، والفضل بن عبد الرحمن ١٢٩هـ، والقطامي ١٣٠هـ، ونصر بن سيار ١٣١هـ، والعجاج ١٤٥هـ، وأبو نُخَيْلة ١٤٥هـ، ورؤبة بن العجاج ١٤٥هـ.

ومن مجموع هؤلاء الشعراء نجد عددًا من الشعراء المولّدين، ولا يصحُّ قولُ خالد عبد الكريم جمعة إنّه لا يوجد بين شعراء سيبويه شاعرٌ مؤلّد ما عدا ثلاثة شعراء يدور شكُّ كبير حول نسبة بعض الشواهد إليهم وهم أبانُ اللاحقي وخلفُ الأحمر وبشارُ بن برد.

وتستمر القائمة حتى نجد إبراهيم بن هرمة الذي قيل إنّه خُتم به الاحتجاج به، وأبان اللاحقي (٢٠٠هـ)، وأبا عطاء السندي (بعد ١٨٠هـ) الذي تَمَثَّلَ ببيت واحد له (٦٢)، وشعراء القائمة الثانية افتقد كثير منهم إلى ضوابط الزمن والبيئة والنسب مما يدلنا على اتخاذ سيبويه منهجًا خاصًا به في الاحتجاج بالأشعار دون التأثر بآراء غيره من العلماء.

ونذكر نماذج لاستشهاد سيبويه بأشعار الإسلاميين. ذَكَرَ في باب ما يجري مما يكونُ ظرفًا مع ذكر الضمير، وقال إنه قد يجوز في الشعر وهو ضعيف في الكلام ولا يحسن في الكلام أن يجعلَ الفعلَ مبنياً على الاسم ولا يذكر علامة إضمار الأول حتى يخرج من لفظ الإعمال في الأول ومن حال بناء الاسم عليه ويشغله بغير الأول، وهو ضعيفٌ في الكلام ولكنّه قد يجوز في الشعر وأوردَ بيتَ أبي

(٦٢) المصدر نفسه ٩٨/٢.

النجم:

قد أصبحت أم الخيار تدعي

عليّ ذنباً كلّه لم أصنع

معلقاً عليه: فهذا ضعيف، وهو بمنزلة في غير الشعر (٦٣).

وذكر في باب ما يحتمله الشعر أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام من صرف ما لا ينصرف، يُشَبَّهونه بما ينصرف من الأسماء، لأنها أسماء، وحذف ما لا ينحذف، يُشَبَّهونه بما قد حُذِفَ، واستعمل محذوفًا كما قال العجاج:

قواطنا مكة من ورق الحمى

يريد الحمام. وقال خفاف بن ندبة:

كنواح ريش حمامة نجدية

ومسحتُ باللثتين عصف الأكمد.

وكما قال النجاشي:

فلسْتُ بآتيه ولا أستطيعه

ولاك اسقني إن كان مأوُكُ ذا فضلٍ (٦٤)

وهنا حذف الشاعر النونَ من لکن وأبقى ولاك أما الفرزدق فهو أكثر الشعراء تَمَثَّلًا بشعره، ولا عجبَ في ذلك، فقد نُقلَ عن أبي عبيدة قال: سمعتُ يونسَ يقول: لولا شعر الفرزدق لضاع ثلثُ اللغة (٦٥)، وأبو عمرو بن العلاء الذي يرفض التمثل بشعر الفرزدق يقول: إنه يُشَبَّه من شعراء الجاهلية بزُهير.

حين تعرف لغة الفرزدق يزول عجبك من كثرة

(٦٣) الكتاب ٨٥/١.

(٦٤) الكتاب ١٢٧.

(٦٥) معجم الأدياء ٢٧٨٦.

هذا الباب، فقد عَقَدَ بابًا سَمَاهُ «ما يَحْتَمِلُ الشَّعْرُ وما يَجُوزُ للشَّعْرَاءِ ارتكابه في الشَّعْرِ ولا يَجُوزُ في كلامِ العَرَبِ من صَرَفٍ ما لا يَنْصَرِفُ وحذفِ ما لا يُحذفُ وغيرها ممَّا تَجُوزُ في الشَّعْرِ ولا تَجُوزُ في النثر».

ذكر سيبويه أَنَّهُم يَمْدُونُ الياءَ في الجمعِ على وزنِ مفاعيلٍ كقولهم مساجد مساجيد، وهذا لا يَجُوزُ في النثر ولكنَّهُ يَجُوزُ في الشَّعْرِ، ولم يَذْكُرْ شاهدًا آخَرَ غيرَ شاهدِ الفرزدقِ حينَ مَدِّ الصَّياريفِ:

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة

نفي الدنانير تنقاد الصياريف (٦٨)

...

وفي باب المعرفة يَذْكُرُ شاهدَ الفرزدقِ في تعريفِ ابنِ المخاضِ في قوله:

وجدنا نهشلا فضلت فقيماً

كفضلِ ابنِ المخاضِ على الفصيل (٦٩)

....

وفي باب الفاعل الذي يتعدى فعله إلى مفعولين: تَمَثَّلَ سيبويه بيتين للفرزدقِ، فإن شئتَ اقتصرتَ على المفعول الأول، وإن شئتَ تعدى إلى الثاني، وأتى بشواهدَ من الشَّعْرِ، ولكنه استثنى القاعدة بقوله: وليس كلُّ الفعلِ يُفعلُ به هذا، كما أَنَّهُ ليس كلُّ فعلٍ يَتَّعِدُ الفاعلَ ولا يتعدى إلى مفعوله، ومنه قولُ الفرزدقِ:

منا الذي اختير الرجال سماحة (٧٠)

تَمَثَّلَ سيبويه بشعره خلافاً لآراءِ النقاد الذين رأوا عدم الاستشهاد بشعر المحدثين، وأولهم الفرزدق. ونجد ضمن شواهد سيبويه أن الفرزدق أكثر الشعراء الإسلاميين الذين تَمَثَّلَ بهم، فقد بلغت الشواهد التي تَمَثَّلَ بها من شعره ثلاثة وخمسين شاهداً، وسنذكر المواضع التي تَمَثَّلَ فيها سيبويه بشعره:

اختلاف قراءة الشاهد الشعري:

وقد يُورد سيبويه شاهداً للفرزدق، ولكنه لا يكتفي به بل يُورد قراءةً أخرى له، من ذلك تَمَثُّلُهُ ببيتِ الفرزدقِ:

أسكرانُ كان ابنُ المراغة إذ هجا

تميمًا بجوفِ الشامِ أم متساكرُ
سكرانُ أوردَها سيبويه بالضمِّ قائلًا: إنَّها قراءةٌ بعضهم، وأكثرهم ينصب السكرانَ ويرفع الآخر على قطع وابتداء (٦٦).

وقد يَذْكُرُ شاهدين من شعر الفرزدق مثل قوله عن إتباعِ الصفةِ الموصوفِ أو رفعها على القطع كقول الفرزدقِ: (باب اتباع الصفة الموصوف):

ولكنني استبقيتُ أعراضَ مازنٍ

وأيامها من مُستنيرٍ ومُظلمٍ

أناسًا بثغرٍ لا تزالُ رماحهم

شوارعَ من غيرِ العشرةِ في الدَّمِ (٦٧)

.....

وفي مبحثِ يجوز في الشَّعْرِ ما لا يجوز في النثر وأنَّ مخالفةَ الشعراء للقواعد النحوية تقع في

(٦٨) الكتاب ١/٢٨.

(٦٩) الكتاب ٢/٩٩.

(٦٦) الكتاب ١/٤٩.

(٦٧) الكتاب ١/٢٨٨.

وجوداً إذا هب الرياح الزعازعُ

وقال الفرزدق:

نُبئتُ عبد الله بالجؤ أصبحتُ

كراماً مواليتها لئيماً صميمها^(٧١)

.....

وفي باب ما لا يكون إلا على معنى لكن:

يقول الفرزدق:

وما سجنوني غير أني ابنُ غالبٍ

وإني من الأثرين غير الزعانف

كأنه قال: ولكتي ابن غالب^(٧٢)

.....

كما تَمَثَّلَ سيبويه ببيت الفرزدق في موضوع

الفصل بين المضاف والمُضاف إليه، ولم يُعبه بينما

عاب بيتا لذي الرمة ووصفه بأنه قبيح، أما بيت

الفرزدق فهو:

يا مَنْ رأى عارضاً أسرُّ به

بين ذراعي وجبهة الأسد^(٧٣)

ففصل بين المضاف والمُضاف إليه ذراعي الأسد

فصله بجبهة.

.....

وفي باب إظهار ضمير الفاعل والإتيان به

(٧٠) كذا ورد في الديوان (ص ٣٦٠)، والصواب (ومنا)

إذ من دون الواو أو أي حرفٍ مُتحرِّكٍ يسبق "منا" يكونُ

صدرُ البيت من الكاملٍ وعجزه من الطويل، وهذا يرد كثيراً

عند الفرزدق.

(٧١) تَمَثَّلَ به سيبويه، ولم نجده في ديوان الفرزدق.

(٧٢) الكتاب ٢ / ٣٢٧، ولم نجده في الديوان.

(٧٣) الكتاب ١ / ١٨٠.

مؤنثاً قول الفرزدق:

ولكن ديايُّ أبوه وأمه

بحوران يعصرن السليط أقاربه^(٧٤)

والشاهد فيه يعصرن؛ إذ جعل فيها ضمير

أقاربه وأتى به مؤنثاً للأقارب لأنه أراد الجماعات.

....

وفي باب المنوع من الصرف يتَمَثَّلُ سيبويه

ببيت للفرزدق يمنع فيه (هجر) من الصرف قائلًا

إن هجر يؤنث ويذكر وهو قوله:

منهن أيام صدقٍ قد عرفتُ بها

أيام فارس والأيام من هجرا^(٧٥)

وفي باب الجُموع يَذكر سيبويه جمعَ عمرو

عند الفرزدق وإنه جمعه عمور، معلقاً عليه: إن

الاستعمال الأكثر على جمع المذكر السالم، قال

الشاعر وهو الفرزدق:

وشيد لي زرارةً باذخاتٍ

وعمرو الخير إذ ذكر العمور^(٧٦)

وتمثل في باب (حتى) بشعر للفرزدق، وأنَّها

وردتُ بمعنى إذ:

فيا عجباً حتى كليبٌ تسبني

كأن أباهَا نهشلُ أو مُجاشعُ^(٧٧)

فحتى هنا كحرفٍ من حروف الإبتداء.

ويُرجَّح قولَ الفرزدق في حَذْفِ الخبر؛ لعلم

(٧٤) الكتاب ٢ / ٤٠.

(٧٥) الكتاب ٣ / ٣٤٣ والشاهدُ فيه منعُ هجرٍ من

الصرف على إرادة البقعة والمكان.

(٧٦) الكتاب ٣ / ٣٩٦.

(٧٧) نفسه ٣ / ١٨.

السامع به كقول الفرزدق:

إِنِّي ضَمِنْتُ لِمَنْ أَتَانِي مَا جَنَّا

وَأَبِي فَكَانَ وَكَانَتْ غَيْرَ عَذْوَرٍ^(٧٨)

وقد ذكر سيبويه رأياً لشيخه الخليل في أن بعضهم قرأ (وَمَنْ تَقَنَّتْ مِنْكَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ)^(٧٩) فجعلت كصلة «التي» حين عنيت مؤنثاً، فإذا ألحقت التاء في المؤنث ألحق الواو والنون في الجميع، وقال الشاعر حين عنى الاثنين وهو الفرزدق:

تَعَالَ فَإِنْ عَاهَدْتَنِي لَا تَخُونَنِي

نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذَنْبُ يَصْطَحِبَانِ^(٨٠)

وقيل الشاهد فيه «يصطحبان» حملاً على معنى (من) لأنها كناية عن اثنين^(٨١).

ويستند سيبويه إلى رأي الخليل في إلغاء عمل كان، ويأتي بيت للفرزدق.

قال الخليل: إن من أفضلهم كان زياداً، على إلغاء كان، وشبيهه بقول الشاعر وهو الفرزدق:

فَكَيْفَ إِذَا رَأَيْتَ دِيَارَ قَوْمٍ

وَجِيرَانٍ لَنَا كَانُوا كِرَامٍ^(٨٢)

ولم يخطئ سيبويه الفرزدق حتى في المواضع التي قيل إنه أخطأ فيها، فقد قيل إن عبد الله ابن أبي إسحاق^(٨٣) قال للفرزدق في مدحه يزيد بن

(٧٨) الكتاب ١/٧٦.

(٧٩) سورة الأحزاب ٣١.

(٨٠) ورد البيت في الديوان (ص ٦٢٨):

تَعَشَّ فَإِنْ وَاتَّقْتَنِي لَا تَخُونَنِي

نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذَنْبُ يَصْطَحِبَانِ

(٨١) الكتاب ٢/٤١٦.

(٨٢) الكتاب ٢/١٥٣.

عبد الملك:

مُسْتَقْبَلِينَ شِمَالَ الشَّامِ تَضْرِبُهُمْ

بِحَاصِبِ كَنْدِيفِ الْقَطَنِ مَنثورٍ

عَلَى عَمَائِمِنَا تَلْقَى وَأَرْحَلِنَا

عَلَى زَوَاحِفَ تَرْجِي مَخَّهَا رِيرٍ

فقال له ابن أبي إسحاق أسأت، إنما هو رير.

وكان ابن أبي إسحاق يكثر الرد على الفرزدق، فقال فيه الفرزدق:

فَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى هَجْوَتِهِ

وَلَكِنْ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى مَوَالِيَا

وَقَدْ لَحَنَ ابْنُ أَبِي إِسْحَاقٍ الْفَرَزْدَقَ فِي قَوْلِهِ:

وَعَضَّ زَمَانٍ يَا ابْنَ مَرْوَانَ لَمْ يَدْعُ

مِنَ الْمَالِ إِلَّا مَسْحَتًا أَوْ مَجْلَفًا

وقيل إن ابن أبي إسحاق قال للفرزدق: على

أي شيء ترفع أو مجلف؟ فقال: على ما يسوؤك وينوؤك (يريد أن يعضبه) وأن أبا عمرو بن العلاء قال له: أصبت، وهو جائز على المعنى أي أنه لم يبق سواه^(٨٤).

وحين تمثّل سيبويه بيت الفرزدق لم يخطئه:

فَلَوْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى هَجْوَتِهِ

وَلَكِنْ عَبْدُ اللَّهِ مَوْلَى مَوَالِيَا

إنما وجد له وجهًا، فإنهم يجرون موالى على

الأصل (فلما اضطروا إلى ذلك في موضع لا بد لهم فيه من الحركة أخرجوه على الأصل)^(٨٥).

(٨٣) عالم في اللغة كثر هجاء الفرزدق له تنظر ترجمته

في إنباه الرواة ٢/١٠٥ في نزهة الألباء ٢٦،

(٨٤) المصدر نفسه.

وإنما قال مولى مواليا لأنَّ عبدَ الله كانَ مولى لآلِ
الحَضرمي، وآل الحَضرمي كانوا حُلفاءَ لبني عبدِ
شمسٍ بالولاء، وَيَعني أجراهُم مَجري الأصلِ في
موالي.

وقد لا يَرْتضي سيبويه شاهداً من شواهد
الفرزدق، فلا يُحطُّهُ ولا يرفضه، ولكنَّه يقول:
لا يكاد يعرف، فهل يقصد أنه لا يكاد يعرف له
وجهاً؟ قال هذا حين أورد قول الفرزدق:

فأصبحوا قد أعاذَ اللهُ نِعمتَهُم

إذ هم قريشٌ وإذ ما مثلهم بشرٌ

استشهد به على تقديم خبر ما منصوباً. وقد
ذكر عبد السلام هارون تعليقا على البيت أنَّ
الفرزدقَ تميمي يرفعه مؤخراً^(٨٦)

والأبياتُ التي يَتمثلُ بها سيبويه يقول فيها:
«وقال الفرزدقُ، أو كقول الفرزدقِ» ولكنَّه أحيانا
ينصُّ على نقله بيتَ الفرزدقِ سماعاً كأنَّ يقول:

أنشدَ بعضَ العربِ قولَ الفرزدقِ:

مشائيمٌ ليسوا مُصلحينَ عَشيرة

ولا ناعبٍ إلا بينَ غرابها^(٨٧)

.....

ويروي أحيانا رواية أخرى لبيت الفرزدق
سَمَعَهُ من بعض العرب يقول: قال الفرزدق:

منعتُ تميمًا منك أنِّي أنا ابنُها

وشاعرُها المعروفُ عندَ المَواسِمِ

ثم يروي روايةً أخرى بلغته سماعاً أيضاً

(٨٥) الكتاب ٣/٣١٣، وانظر أخبار النحويين البصريين
٢١.

(٨٦) الكتاب ١/٦٠.

(٨٧) نفسه ٣/٢٩.

قائلاً: وسَمِعنا من العَرَبِ مَنْ يقولُ: إنِّي أنا ابنُها،
وينقلُ أحيانا رأيَ غيره في سماع بيتِ الفرزدقِ
فيقول: وزَعَمَ يونسُ أنه سمع الفرزدق يُنشد:

كم عمّةٍ لكِ يا جَريزُ وخالَةَ

فدُعاءٌ قد حَلَبتُ عليَّ عِشاري

شغارةٌ تقذُ الفَصيلَ برجلِها

فطَّارةٌ لقوادِمِ الأفكارِ^(٨٩)

وفي إعراب (غير) في قول الفرزدق ما أنشده
بعض الناس رفعا للفرزدق وهو قوله:

ما بالمدينةِ دارٌ غيرُ واحدةٍ

دارُ الخليفةِ إلا دارُ مروان^(٩٠)

والشاهد فيه إجراء (غير) على دارٍ نعتاً لها، فلذا
رفع ما بعد إلا ومعناها: ما بالمدينة غير واحدة
وهي دار الخليفة^(٩١)، وقال أيضاً ذاكراً روايةً
لشعر الفرزدق أنشده إياها بعض العرب^(٩٢):

وبلغَ من اهتمام سيبويه بالفرزدق أنَّ يسألَ
أستاذه الخليلَ عن قوله:

أتغضبُ إنَّ أذنا قتيبةَ حُرَّتا

جهاراً ولم تغضبِ لقتلِ ابنِ حازمِ

فيجيبه الخليل: لأنه قبَّحُ أن تفصلَ بين إنَّ
والفعل، كما قبَّحُ أن تفصلَ بين كي والفعل، فلما
قبَّح ذلك ولم يجزُ حُمَلَ على إن؛ لأنَّه قد تقدَّم فيها
الأسماء قبل الأفعال^(٩٣).

(٨٨) الكتاب ٣/١٢٨.

(٨٩) الكتاب ٢/٧٢.

(٩٠) الكتاب ٢/٣٤.

(٩١) تعليق المحقق عبد السلام هارون.

(٩٢) الكتاب ٢/١٦٢.

ونجده يُدافع عن بيتٍ للفرزدق مُوجدًا تَعْلِيلًا
لقوله:

على حِلْفَةٍ لا أَشْتَمُ الدَّهْرَ مُسْلِمًا

ولا خَارِجًا مِنْ فِي زورٍ كِلامٍ

يقولُ سيبويه فإنما أراد: ولا يَخْرُجُ فيما أَسْتَقْبَلُ
كأنَّهُ قال: ولا يَخْرُجُ خروِجًا، ألا تراه ذَكَرَ عاهدت
في البيت الذي قبله:

ألم تَرَنِي عاهدتُ رَبِّي وإِنِّي

ببيتٍ رتاجٍ قائمًا ومقامٍ

ولو حَمَلَهُ على أن نفى شيئًا هو فيه، ولم يُرد أن
يَحْمَلَهُ على عاهدتُ جاز. وإلى هذا الوجه كان
يذهبُ عيسى^(٩٤) فيما نرى، كأنه لم يَكُنْ يَحْمَلُهُ
على عاهدتُ^(٩٥). وحين يَذكرُ سيبويه صيغَ الأفعال
الصَّرْفِيَّةِ يَتَمَثَّلُ بقول الفرزدق مستخدمًا تَنَعَمُ
بالكسر:

وكوومٍ تَنَعِمُ الأضيافُ عَيْنًا

وتصيحُ في مبارِكها ثَقالًا

ويُبدى سيبويه رأيه في صيغة تَنَعِمُ التي أوردَها
الفرزدقُ بكسر العين، فيقولُ والفتحُ في هذه
الأفعالِ جَيِّدٌ وهو أَقْبَسُ.

وفي باب التضعيف والزيادة بالألف فَعَلتُ وأفعلتُ،
يقول: وقالوا أغلقتُ الباب، وغَلَقْتُ الأبوابَ حين

(٩٣) الكتاب ١٦١/٣ والشاهدُ فيه كسرُ إنَّ على معنى
الشَّرْطِ لتقديمه الاسمَ على الفعلِ الماضي، ولو فَتَحَ أن لم
يَحْسُنْ لأنها موصولة بالفعل، فيَقْبَحُ فيها الفِصْلُ.

(٩٤) هو عيسى بن عمر من طبقة أبي عمرو بن العلاء،
بصريٌّ أخذَ عنه الخليلُ بن أحمد، توفي سنة ١٤٩هـ :
أخبار النحويين البصريين. ٢٥، نزهة الألباء ٢٨.

(٩٥) الكتاب ١/٣٤٦.

كثُرُوا العمل، وإن قلت: أغلقت الأبواب كان عربيًا
جيدًا وقال الفرزدق:

ما زلتُ أغلقُ أبوابًا وأفتَحُها

حتى أتيتُ أبا عمرو بنِ عَمَّارٍ

وأعادَ الشاهدَ في مَوْضِعٍ آخَرَ، وَيُرْجَحُ صيغةُ
فَنَحَّتْ وَيَرَاهَا أَحْسَنَ من الفُتْحِ كما قالَ تعالى
(جنات عدنٍ مَفْتَحَةٌ لهم الأبواب) (٩٦).

وفي صيغة فاعل إذا جُمِعَتْ لغير الآدميين تقول
(فواعل) وإن كانَ لِمَذْكَرٍ أَيْضًا؛ لأنَّهُ لا يَجوزُ فيه ما
جاز في الآدميين من الواو والنون، فصارع المؤنث
ولم يقو قوة الآدميين وذلك قولهم جمالٌ بوازل،
وجمالٌ عَواضُهُ، ولكنَّهُ وجدَ الفرزدقُ يستخدم
صيغة فواعل للرجال فيقولُ إنه اضطرَّ لذلك:

وإذا الرجالُ رأوا يَزِيدَ رأيتَهُمُ

خُضِعَ الرِّقَابِ نَوَاسِ الأَبصارِ

فالشاهدُ هنا استخدام الفرزدق لصيغة فواعل
للرجال، ولكنَّهُ يجدُ تسويغًا له بقوله: لأنَّكَ
تقولُ هي الرجال كما تقول هي الجمال، فشَبَّهَ
بالجمال^(٩٧).

ويذكر رأي الخليل في الإضمار فيقولُ معقبًا على
بيت: زعمَ الخليلُ أنَّ هذا يُشَبِّهُ قولَ مَنْ قال وهو
الفرزدق:

فلو كنتُ ضبيًّا عرَفْتُ قرابتي

ولكنَّ زنجيَّ عظيمٍ المَشافرِ

والنصبُ أَكثَرُ في كلام العرب كأنه قال: ولكنَّ
زنجيًّا عظيمَ المَشافرِ لا يَعْرِفُ قرابتي، ولكنه

(٩٦) سورة ص ٥٠.

(٩٧) المصدر نفسه:

أضمرَ هذا كما يُضمر ما بُني على الابتداء^(٩٨)، وهو يخالف في هذا أبا عمرو بن العلاء وعبد الله بن أبي إسحاق والحسن البصريّ وعبد الله بن شبرمة فقد كانوا يُلحّنون الفرزدقَ والكُميتَ وذا الرّمة وأضرابهم.

وقال بعد أن ذكر رأَي الخليل أن من بمنزلة إنسان، وتجعل ما بمنزلة شي نكرتين، فيذكر شاهدًا من شعرِ حسان بن ثابت:

فكفى بنا فضلًا على من غيرنا

حسبُ النبيِّ مُحَمَّدٍ إِيانا

ومثله بيتُ الفرزدق:

إني وإياك إذ حلت بأرحلنا

كمن بواديه بعد المحلِّ ممطور^(٩٩)

أما الشماخُ فننوعتُ الشواهدُ التي تمثّلُ بها سيبويه من أشعاره، منها تمثّله بما يلجأ إليه بعضُ الشعراء من مدِّ الأصوات:

له زجلٌ كأنه صوتُ حادٍ

إذا طلبَ الوسيقةَ أو زمير^(١٠٠)

والخلاصةُ أن سيبويه استشهدَ بشعراءِ الطبقاتِ الثلاثِ الأولى؛ طبقةِ الجاهليين وطبقةِ المخضرمين وطبقةِ الإسلاميين مثلِ جريرِ والفرزدقِ والأخطلِ، أما المتأخرون من الشعراء فقد استشهد سيبويه ببيتٍ للفضلِ بنِ عبد الرحمن القرشيّ (ت ١٢٩) ولم ينسبه، ذكره في باب ما يكونُ معطوفًا في هذا الباب على الفاعلِ المُضمرِ في النيةِ ويكونُ معطوفًا على المفعول: فقول الشاعر:

(٩٨) الكتاب ٢/١٣٥.

(٩٩) الكتاب ١/١٠٦.

إياك إياك المرءُ فإنّه

إلى الشرِّ دَعَاءٌ وللشرِّ جالب^(١٠١)

وقال إنَّ ابنَ أبي إسحاق احتجَّ ببيته وقد استشهد به الخليل^(١٠٢).

وتمثّلَ بأربعةِ شواهدٍ لابنِ ميادةَ (ت ١٤٩هـ) ولم ينسبها مباشرة ولكن نسبها المحقق في تحقيقه^(١٠٣)، وتمثّلَ ببيتٍ لابنِ ميادةَ في باب التنوين، فالصفة المعرفة تجري على المعرفة كمجرى الصفة النكرة على النكرة. ولو أن هذا القياس لم تكن العربُ الموثوقُ بعربيتها تقوله لم يلتفت إليه. مع هذا التصريح نجدُ سيبويه يؤكّد على السماع بقوله: ولكننا سمعناها (أي العرب) تُنشدُ هذا البيتَ جرًّا وهو قول ابنِ ميادةَ المرّي من غطفان:

وأرشن حينَ أردنَ أن يرميننا

نبلاً بلا ريشٍ ولا بقداحٍ

ونظرن من خللِ الخدورِ بأعين

مرضى مخالطها السقامُ صحاح

وسمعنا من العربِ من يرويه، ويروي القصيدة التي فيها هذا البيت لم يلقنه أحد^(١٠٤). ويفيدنا هذا الشاهدُ بتسامحِ سيبويه في التمثّلِ بشاعر متأخر، واعتماده على السماع في ضبط البيت.

وهناك شاعرٌ يُثير نقاشًا وهو بشرُّ بنُ بردِ المتوفّي

(١٠٠) الكتاب ١/٣٠.

(١٠١) الكتاب ١/٢٧٩.

(١٠٢) في كتاب الجمل ١/٩١١.

(١٠٣) الكتاب ١/٦٨٣، ٣/٣١١، ٣/٢٣١.

(١٠٤) الكتاب ٢/٢٠.

سنة ١٦٨هـ، قال الدكتور خالد جمعة إنَّ سيبويه
تَمَثَّلَ بشعر بَشَّار:

وما كلُّ نبي لبِ بمؤتيك نُصْحَهُ

وما كلُّ مؤتٍ نُصْحَهُ بَلْبِيبٍ^(١٠٥)

وقال إنه تَتَّبَعَ المَصَادِرَ فلم يَجِدْ أَحَدًا نَسَبَهُ
لبَشَّار^(١٠٦)، والصواب أَنَّهُ لأبي الأسود الدَّوْلِيِّ،
ويُفَرِّقُ أَنَّ قِصَّةَ استشهاده سيبويه بشعرِ بَشَّار
ليست ثابتة، وأَنَّه مِنَ الجائزِ أَنَّ سيبويه كان
يذكرُ بَعْضَ شعرِ بَشَّار في مجالسِه دونَ أَن يَقْصِدَ
الاحتجاجَ بِهِ.

هذا الخبرُ يُثيرُ نِقاشًا له علاقةٌ قويةٌ بعصر
الاحتجاج. لقد ذكر السيوطيُّ في كتاب الاقتراح:
أولُ الشعراءِ المُحدثينَ بَشَّارُ بن برد، وقد احتجَّ
سيبويه بشعرِه في كتابِه^(١٠٧) تَقَرُّبًا إِلَيْهِ لَأَنَّهُ كَانَ
هَجَاءً.

هذا الخبرُ ذُكِرَ في ترجمة بَشَّار وإنَّ الذي طَعَنَ
بشعره وعابه هو الأَخْفَشُ وإنَّ بَشَّارًا هجَاهُ بعد
ذلك، وفيه أيضًا أَنَّ بَشَّارًا هجا سيبويه، وقد بَلَغَهُ
شيءٌ من ذلك^(١٠٨).

أما القبائلُ التي تَمَثَّلَ سيبويه بأشعارِ شعرائِها
فهم الذين يُمكنُ أَن يَدْرَجوا في عصرِ الاستشهاد،
ولم يَسْقُطَ من قبائلِ العربِ أَلَا القبائلُ التي لم
يُعرفَ فيها شعراءٌ معروفون^(١٠٩).

احتجَّ بشعرِ عمرَ بنِ أبي ربيعةَ وهو حَضْرِيٌّ

(١٠٥) الكتاب ١/١٤٤.

(١٠٦) شواهد الشعر في كتاب سيبويه ٢٩٨.

(١٠٧) الاقتراح ٥٩.

(١٠٨) الموشح ٢٨٧.

(١٠٩) شواهد الشعر في كتاب سيبويه ٣٠٠.

ومن عُذْرَةٍ، وبشعرِ عَدِيِّ بنِ الرقاعِ وهو من
قُضاعة، وبشعرِ جَرِيرِ والفرزدقِ وهما من تميمٍ
وبالأخطلِ وكعبِ بن جعيلِ والقَطاميِّ وهم من
تَغْلِبَ، وبشعرِ أبي طالبِ وعبد الرحمن بن أم
الحكم وهما من الحَضْرَمِ من مَكَّة، وتَمَثَّلَ بشعر
الكُمَيْتِ والطَّرَمَّاحِ وهما حَضْرِيَّانِ مِنَ الكوفَةِ،
وعَمْرُو بن مَعِدِ كَرِبِ وهو من اليَمَنِ، ولم يُطَبَّقْ
الضوابطُ التي وضعها غيره، وإنَّ سيبويه كان
حُرًّا في الاستشهاد بالأشعارِ غيرَ مُنحازٍ لِفِئَةٍ
دونَ أُخرى، أو لعصرٍ دونَ آخَرَ فوجدنا أشعار
الإسلاميين من الشعراءِ كَثِيرَةً في كتابِه متنوعَةً
المشارِبِ والاتجاهاتِ، مُقَدِّمًا مَنْ يَرَاهُ مُسْتَحَقًّا
التَّقديمِ فيكثرُ من شواهدِه، ويذكرُ آخِرِينَ حَسَبِ
مكانتِهِم وأشعارِهِم فيقلُّ من التَّمَثُّلِ بأشعارِهِم
دونَ أَن يَخْطِئَهُم.

المصادر والمراجع:

- أخبار النحويين البصريين / السيرافي، أبو سعيد الحسن
بن عبد الله (٣٦٨هـ) تحقيق طه محمد الزيني ومحمد
عبد المنعم خفاجي، القاهرة، مطبعة مصطفى البابي
الخطيبي ١٣٧٤هـ/١٩٥٥.

- الأغاني / أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٠هـ)، بيروت،
دار الثقافة ١٩٥٥.

- الاقتراح في أصول النحو / السيوطي، جلال الدين
(٩١١هـ)، تحقيق عبد الحكيم عطية، الطبعة الثانية.

بيروت، دار البيروتية ١٤٢٧/٢٠٠٧

- بُغْيَةُ الوُعَاةِ في طبقات اللغويين والنُّحَاةِ / السيوطي، عبد
الرحمن (ت ٩١١هـ) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم

القاهرة، مطبعة البابي الخطيبي ١٣٨٤هـ/١٩٦٤

- جوهر الكنز، تلخيص كنز البراعة في أدوات ذوي البراعة /

- ابن الأثير نجم الدين أحمد بن إسماعيل (٦٩١هـ) تحقيق محمد زغلول سلام، منشأة المعارف، مصر، ٢٠٠٩.
- خزائن الأدب ولبُّ لباب لسان العرب / البغدادي، عبد القادر بن عمر ١٠٩٣هـ، مكتبة الخانجي ١٤١٨هـ/١٩٩٧.
- سيبويه حياته وكتابه / أحمد أحمد بدوي، طبع في مؤسسة هنداوي ٢٠١٧ (عن طبعة ١٩٥٠).
- الشاهد وأصول النحو في كتاب سيبويه / خديجة الحديثي، الكويت، جامعة الكويت ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤.
- شرح أبيات سيبويه / السيرافي، أبو محمد يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله المرزبان السيرافي (٣٥٨هـ)، تحقيق محمد علي الريح هاشم، مكتبة الكليات الأزهرية، دار الفكر، بيروت- القاهرة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤.
- شواهد الشعر في كتاب سيبويه / خالد عبد الكريم جمعة، مصر، الدار الشرقية ١٤٠٩هـ/١٩٨٩.
- طبقات النحويين واللغويين / الزبيدي، أبو بكر محمد بن الحسن / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر. ١٩٦٦
- فحولة الشعراء / الأصمعي، عبد الملك بن قريب (٢١٦هـ) تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، ١٣٧٢هـ/١٩٥٣.
- كتاب سيبويه / سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٨٠هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، مكتبة الخانجي ١٩٨٨.
- مراتب النحويين / أبو الطيب، عبد الواحد اللغوي (٣٥١هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر ١٩٥٥.
- المدخل إلى كتاب سيبويه وشروحه / البكاء، محمد عبد المطلب، بغداد، وزارة الثقافة، دائرة الشؤون الثقافية، ٢٠٠١.
- الأزهر في علوم اللغة العربية وأنواعها/ السيوطي، عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)، تحقيق محمد جاد المولى وآخرين، الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة دار التراث، د. ت.
- معجم الأدباء / ياقوت الحموي (٦٢٦هـ)، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣.
- معجم النقد العربي القديم / أحمد مطلوب. بغداد، دار الشؤون الثقافية ١٩٨٩.
- الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء / المرزباني، محمد بن عمران (٣٨٤هـ) تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء / ابن الأنباري، أو البركات عبد الرحمن (٥٧٧هـ)، تحقيق إبراهيم السامرائي، الأردن، مكتبة المنار، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥.